مجلة تداوليات ISSN :2992-0795
المجلد الثالث03/ العدد الثاني 02 / ديسمبر2025 / ص ص : 52- 72

مَفهومُ التَّلويحِ الحواري في التُراثِ العَربي (ابنُ الاثيرِ مثالًا)

أ.م. د رحيم مجيد راضي: جامعة الشَّطرة / كُلية التّربية للبنات

raheem.majeed utq.edu.iq

رقم الهاتف :07827724141

المُلخَّصُ

إنّ الحديثَ عن مَوضــوعِ الفكرِ التَّداولي في الدرس اللســاني عند العربِ القدامى ليس معناه إســقاط النظريات الحديثة، والمعاصــرة على الموروث اللغوي العربي، وإنَّما هو محاولةُ بحثٍ عن الأصــولِ،والامتـدادات المعرفيـةِ بين الثقـافتين(الغربيـة والعربيـة)، ونحن نروم من خلالِ هـذه المداخلة إلى تأصــيلِ الدَّرس التداوليعند العرب القدامى؛لأنَّ مجالَ الدَّرسِ مُشــتركٌ بين مختلف الثقافات، وأُمةُالعربِ واحدةٌ منتلك الأُممِ التي زَخَرَ تراثُها اللغوي بمعالجاتٍ مُتقدمةٍ تنحو منحى الدَّرس التَّداولي المُعاصر باستثمارِها للعناصرِ غير اللغوية في الدِّراسة اللغوية، فقد فطنَ لغويو العرب إلى البعد الدلالي وأثره فيتحليل النصـوص، وعدم جواز دراسـة اللغة بمعزل عن السِّـياق، وظروف المُتكلِّم، وحال المُتلَقِي ،ومن هذا المنطلق نقول إنّ إرهاصــاتَ الفكرِ التَّداولي عند العرب لها ما يبرّرُها، فاشتغالُ النَّحاةُ،والبلاغيين، والأصوليين،وفلاسفة اللغة بالنِّص القرآني ،والحديث النبوي ،والنَّص الشــعري، والنثري مِن مُنطلقِنظرتهم غير التقليدية للخطاب، وما يحيطُ بإنتاجه وتلقيه تجعلنا نقفُ على أنّ البُعدَ التَّداولي مُتأصلٌفي علوم اللغة العربية.

الكلمات الافتتاحية: التلويح الحواري ، التعريض، التراث اللغوي، ابن الاثير، الكناية

Abstract

The study of pragmatic thought within the linguistic heritage of early Arab scholars should not be understood as an attempt to impose modern or contemporary theories upon classical Arabic texts. Rather, it constitutes a scholarly effort to investigate the foundational concepts and intellectual continuities that may exist between Arab and Western

epistemological traditions. This article seeks to trace the origins of pragmatic inquiry in the Arabic linguistic tradition, highlighting the extent to which classical Arab scholars anticipated core concerns of contemporary pragmatics.

The field of pragmatics, by its nature, transcends cultural and linguistic boundaries. The Arab intellectual tradition, in particular, offers a wealth of insights that align with the objectives of modern pragmatic theory, especially in its attention to the contextual and non-linguistic dimensions of meaning. Classical Arab linguists demonstrated a keen awareness of semantic nuances and the interpretive role of context, speaker intention, and listener reception in the analysis of discourse. They rejected the isolation of linguistic phenomena from their communicative contexts, emphasizing instead the interdependence between language and its situational use.

The early manifestations of pragmatic awareness in Arabic linguistic thought are thus not coincidental. Rather, they stem from the serious engagement of grammarians, rhetoricians, jurists, and philosophers of language with key Arabic texts—most notably the Qur'an, Hadith, poetry, and prose. Their non-conventional approach to discourse, with attention to its production and reception, reveals a pragmatic sensitivity that is deeply embedded in Arabic linguistic sciences. This study contends that such contributions constitute an early and original form of pragmatic analysis, deserving of critical re-examination within contemporary linguistic frameworks

Keywords: Dialogic Allusion, Euphemism , Linguistic Heritage, Ibn al-Athir

المُقدِّمةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، والصلاة والسَّلام على سيدِّنا محمد وآل محمد وصحبه أجمعين

أما بعدُ:

فإنَّ المَشــهدَ اللغوي ،ولاســيما ميدانُ الدراســاتِ اللســانيةِ، قد نالَ إعجابًا كبيرًا لاســيَّما في العقود الأخيرة، إذ أصبحت العلاقة بين المُتكلِّم والمُتلقي قائمةً على الحواروالتواصل، فالخطابُ لا يكون إلا لدواعٍ ،ومقاصــدٍ تحكمها أُطرٌ زمانيةٍ،ومكانيةٍ وشــروط ســياقية، وتعدُّ قواعدُ التخاطبِ

المتمثلة في التَّلويح الحواري مِنالمباحثِ المهمةِ في الدراساتِ اللسانيةِالتَّداولية؛ لما تكشفُ عنه هذه الآلية مندلالاتٍ تعبيريةٍ تؤديها الألفاظ عندما تتآلف في علاقات مع بعضها ؛لأجل الكشفعن التواصل بين أطراف الخطاب، وهذه من آلياتِ إنتاجِ الخطابِ؛ لأنَّها تقدمُمعرفة تخدم المُتلَقِي في إيصالِ أكبر قدرٍ مُمكنٍ من المعلوماتِ، قد لا تستطيعُ العباراتُ المستعملةُإيصالَها،لأننا نفترض ضمنا أنَّ المعلومات التي يتمَّ توصيلُها ذات علاقة؛ لأنها تزودنا بمجموعة من التأثيرات الادراكية الكافية التي تستحق الانتباه، و ينبغي على المُتلقي أنْ يبذلَ جهدًا في معالجة الكلام، أو القولة واستحضار سياقٍ، وافتراضات سياقية للتفاعل معها ،وحساب تأثيراتها في ذلك السِّياق.

وإنَّ الاقترابَ مِنْ المَعنى بناء على مقاربة (شروط الصدق) لم يكنْ مقبولًا عند فلاسفة اللغة العادية، فنظريةُ الفعل الكلامي(لأوستن) ،ونظريةُ قصْدِالمُتكلِّملـــ(جرايس) كلتاهما تسعيان إلى تأسيسِ نظرية للغةِ، أو بالأحرى نظرية الفعل الكلامي، فتجريدية (كارناب) التي ترى أنَّ العلاقات الدلالية بين الكلمات والعالم يمكنُدراستها مُجرَّدة من سياق الاستعمال أصبحت غير مقبولة لشيوع تأثير السِّياق في اللغة الطبيعية، وهذا ما أكَّده (جرايس) أنَّ المعنى الذي يفصح عنه المُتكلِّم ليس مسألة قواعد بقدر ما هو مسألةُ مقاصدٍ ، ولايكونُ التواصلُ ناجحًا إلا إذا عرف المُتلقِي المقاصدَ التي يفصحُ عنها المُتكلِّم،وهي من الحجج التي يستعين بها المُتلقي في تحديد ما يعنيه المُتكلِّم،والمضمون الحرفي للجملة الملفوظة هو المضمون الذي يتوصل إليه المُتلَقِي بصورة مستقلة انطلاقًا من معرفته باللغة، ويُفضل في التواصل اللساني أنْ يعني المُتكلِّم بالضبط ما يقوله ،ولا يحتاج إلى شيء آخر يتجاوز الفهم السليم للجملة المنطوقة، وعلى الرغم من ذلك، فان الواقع شيء آخر إذ إنَّ ما يقصده المُتكلِّم قد يتجاوز، أو قد يختلف عن المنطوق الحرفي للجملة لذلك ينبغي على المُتلَقِي في مثل هذه الحالات أنْ يراهن على الخلفية المعرفية لتحديد ما يريد أنْ يقولَه المُتكلِّم، وما يدلُّ عليه في قصدِه التَّواصلي، وهذا الفهم الذي طرحه الدرس الغربي الجديد على يد (جرايس) نجده واضحًا وجليًا في كتب النَّحويين ،والبلاغيين،وللتأصيل لهذه المفاهيم في التراث جاء هذا البحث مفهوم (التَّلويح الحواري) في التراث العربي، ولاسيما التراث البلاغي مُركزًا على ابن الاثير الذي درس التَّعريض بشيء من التفصيل والتطبيق ، وكان البحث قُسِمَ على ثلاث مباحث البحث ،وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع .

إشكالية البحث:

كيف تتجسّد آلياتُ التَّلويح الحواري في خطاب ابن الأثير البلاغي؟ وهل يمكن مواءمة ترسانة مصطلحاته مع مفاهيم التداوليّات الحديثة بصورةٍ تفسيريةٍ مُقنعة؟

أسئلة البحث:

السؤال المُثارُ اليومَ، قبل أنْ نقولَ إنَّنا مَعشر الباحثين العراقيين المُحدَثين أدركنا مرحلةَ التطبيق وجاوزنا التنظيرَ بمراحل، هل استطاع الذي استثمر النظرية بعدما فهِمَها في لغتها فهماً جيداً، أنْ يستدركَ عليها وينتقدَها بما توافر لديه من مكامن القوة البلاغية والنَّحوية في اللغة العربية؟ كيف يوظّف ابن الأثير أدواتٍ كالإيجاز والتعريض والكناية لتوليد المعنى الضمني؟ما القيمة التحليلية لردم الفجوة الاصطلاحيّة بين البلاغة والتداوليات؟

أهداف البحث:

بناء خريطة مقابِلة بين مصـــطلحات ابن الأثير ومفاهيم التّلويح الحواري، و تقديم قراءات تطبيقية لنصـــوصـــه، بناءُ إطارٍ إجرائيٍ رصـــين لمفهوم التلويح الحواري عند ابن الأثير، يتضـــمن تعريفًا دقيقًا وتصـــنيفًا وظيفيًا ومعاييرَ تمييز تطبيقية، بما يربط البلاغة العربية بالتداولية الحديثة ،ويتيح الإفادة منه في تحليل الخطاب العربي القديم والحديث.

حدود البحث :

ينحصر التطبيق في نصوصٍ مختارة من المثل السائر مع إحالاتٍ موجزة إلى نصوص بلاغية سابقة له استفادة منها ولاسيما نصوص الزمخشري،واقتصرتْ الشواهدُ المفصّلة على متنابن الأثير دون استقراءٍ شاملٍ لسائر البلاغيين.

منهج البحث:

وصفي–تحليلي، تداولي–بلاغي مقارن، مع تحليل أمثلةٍ نصيّة،و لا يتناول الإحصاء الكمّي إلا بقدر التمثيل.

مجلة تداوليات ISSN :2992-0795
المجلد الثالث03/ العدد الثاني 02 / ديسمبر2025 / ص ص : 52- 72

المَبحثُ الاوَّلُ : مفهومُ التَّلويح الحواري عند الغربيين

أولًا :نظريةُ (جر ايس) في التَّلويحِ الحواري

إنَّ نظرية (جرايس) فيالتَّلويح الحواري (conversational mplicature) وهناك من يترجم هذا المصـــطلح الانجليزي إلى (الاســـتلزام التخاطبي) و(الاقتضـــاء)، ولكن البحث آثر ترجمة اللغوي العراقي هشـــام خليفة؛لأنَّ لها ما يقابلها في التراث العربي،وجاءت هذه النظرية (نظرية جرايس) التّلويح الحواري لتســدَّ فجوة في مجالِ علم الدلالة ، فقد جاءت لنا بحلٍّ لمعضـلةٍ بقيتْ تشـغل بال اللغويين كثيرًا، وتمثلتكما يقول (جرايس): كيف لنا أنْ نعني أكثر مما نقولُ فعلًا ،أو كيف يتسـنى لنا أنْ نقولَ عكس ما نقصـدُ، ويحدد (جرايس) إنَّ المتحاورين يهدون إلى قاعدة انسـانية عامة "اجعلْ اســهامَك الحواري حين تدلي به مناســبًا للاتجاه والغاية المتوخاة من المحاور التي تشارك بها"[1].

وقد قسَّـم (جرايس) التَّلويح الحواري إلى قسـمين : أحدهماالتَّلويح الوضـعي وثانيهما التَّلويح الحواري، وهو بهذا التقسـيم يدفع بالتَّلويح الوضـعي صـوب المعاني التي تظهر في ذهْنِ المُتلَقِي بما تعبَّر عنه التواضعات اللغوية التي اصطلحت عليها الجماعة اللسانية ، ويحضر التَّلويح الحواري بتلك المعـاني التي تتوارد إلى ذهن المُتلَقِي تبعًا لتوارد التـأويلات التي تنحرف عن المعنى الحرفي، وتتناسب مع السِّياقات التي وردَتْ فيها،وما يُفهمُ من الكلام من غيرِ أنْ يُقالُ صراحةً، ويعتمدُ على السِّياق، ويُبنى على التعاون بين المتحاوريْنِ[2].

وجاء التقســيم على النحو الآتي:أولا: التَّلويح الوضــعي : إنَّ هذا النوع منالتَّلويحات ضــمن المحيط التواصـلي اللغوي الاعتيادي حيث ينصـرف ذهن المُتلَقِي صـوب تعقب الدلالة الحاضـرة حضورًا وضعيًا بحيث تكتسب من خلاله المفردات اللسانية أبعادًا دلالية سياقية ، تنأى بالدلالة عن التَّجسِّـدِ الحرفي للملفوظ ، وهي بذلك تلويحات باطنية لم يتلفظْ بها المُتكلِّم، ولكن استلزمها المُتلَقِي ، عبر كيان لســاني كامن في ثنايا الملفوظ[3] ، كأنَّه يتســاءل المُتكلِّم (أ)أيُّ كتابٍ تقرأ حاليا ؟ فيجيب (ب) كتاب دلائل الاعجاز ، ومن ثم يمكننا أنْ نســتلزم أنَّ (ب) يجيدُ القراءة، وأنَّه كثيرُ

[1]يُنظر: آفاقجديدةفيالبحثاللغويالمعاصر: محمودنحلة:32
[2]يُنظر: المصدر نفسه:32
[3]يُنظر: حساب المعنى بين التداولين وعلماء أصول اللغة/ بحث:155.

المطالعةِ رغم أنَّ هذه المعلومات التَّلويحية غائبة عن السؤال الحرفي الذي طرحه (أ) ،ولكن استعماله لكلمة تقرأ تدفع المُتلَقِي إلى تلويح أنَّ (ب) يجيُد القراءة تلويحا مشروعًا مسلمًا به ، ومن جهة اخرى استعمال كلمة (احيانًا) تجعلنا نلوّح أنَّ (ب) كثيرُ القراءةِتلويحا مشروعًا مُسلمًا به ، ولا شك أنَّ هذينالتلويحين يرتكزان اساسًا على مفردات لسانية تتكشف منها الدلالة عبر ملفوظ اكتسب دلالات وضعية تعارف عليها أطراف التواصل اللغوي بمعنى أنَّ (أ) ما كان له أنْ يتوجه بالسؤال إلى (ب)، وهو يعلم يقينًا أنَّه لايجيدُ القراءة من جهة ،وكثيرُ المطالعة من جهة اخرى، وقد استرشد (أ) إلى صيغة السؤال بناء على مبدأ الكيف ،ولما كانت هذهالتَّلويحات لا تخضع لشروط الصدق بل هي مظاهر للأوضاع اللغوية ،وهيئات الجمل التركيبية أطلق(جرايس)على هذا النوع منالتَّلويحات بالتَّلويح الوضعي، وهذا النوع من التَّلويح يعدُّ لفظيًا، أو لصيقًا بالألفاظ حسبالمصطلح العربي ؛لأنه من مستتبعات التراكيب: أي النتائج ،أو الامور التي تترتب على هذه التراكيب سواء من حيث المعنى، أومن حيث التأثير، وهذا يخالف شرطًا من شروط المميزة للتَّلويح الحواري أو صفة من صفاته وهي (عدم إمكانية الفصلبتغييرالألفاظ) إلَّا أنَّه يشاركُه بصفةٍ من صفاتِ التَّلويحِ الحواري ، وهي أنَّه لا يتعلق بشروط الصدق، لكنَّه لا يتمُّ التوصَّل إليه بوساطة المبادئ التداولية مثل قواعد المحاورة[4].

ثانياً: التَّلويح الحواري: هو أحد المفاهيم المهمة في التداولية طوره الفيلسوف وعالم اللغة (جرايس) ، ويُعنى بدراسةِ كيف يمكنُ للمُتكلِّمين أنْ يُوصِلُوا معاني إضافيةغير منصوصٍ عليها حرفيًا من خلال الكلام، اعتمادًا على السِّياق، ومبادئ التواصل،والمتحاورونعادة يتبعون ما أسماه مبدأ التعاون يهتدون به ، ويشمل مبدأ التعاون أربع قواعد سلوكية استعارها(جرايس) من الفيلسوف الالماني (كانت)، وهي مقولات (الكيف والكم والجهة والعلاقة)،ومن خلال هذه القواعد يفترض المتحاورون بأنَّ الكلامَ الذي يسمعونه ذات صلة وصادق وغني بالمعلومات الكافية، والمتحاورون يستمرون في استدلالاتهم على هذا الافتراض، فالتَّلويح بحسب رأي (جرايس)، هو الاستدلال الذي ينبغي أنْ نتوصل إليهلكي نحافظ على افتراض التعاون بين المتخاطبين: **أي** أنَّ المُتكلِّم يعترف بالقواعد التعاونية ،ويقوم باستغلالها لإيصال ما يعنيه، حيث يتعمد المُتكلِّم وبصورة علنية أنْ لايطيعَ القواعد، وهو يريد من المُتلقي أنْ يدركَ أنَّ هذا الاستغلال مُتعمدٌ،وميز

[4]يُنظرُ: نظرية التَّلويح الحواري : هشام عبد الله خليفة:36

(غرايس) بين ما أسـماه (التَّلويح المعمَّم)و(التَّلويح المخصـص)، وهو يرى أنَّ للتَّلويحِ المخصـصِ سياقًا خاصًا ومحددًا؛ لكي يتمَّ التَّوصل لأنه يتعلق بقاعدة العلاقة(المناسبة) ،فأن كلَّ التَّلويحاتِ المُتولِّدةِ من قاعدة العلاقة ، والتقيُّدُ بها هي من التَّلويحات المتخصصة،فالتَّلويح المخصص بتعلق بالسَّياق، والمعلومات المتبادلة بين المتحاورين مثل التَّهكم ،فأنَّه يتطلب سياقًا خاصًا، ومعلوماتٌ متبادلةٌ تساعدُ على استبعادِ التَّأويل الحرفي للكلام، وأما التَّلويح المعمَّم لا يحتاج إلى سياقٍ خاصٍ ومحددٍ،وإنما جاء بفضل قاعدة الاخبارية(الكمية)اجعل اسهامك في المحاورة مفيدًا بالمعلومات بالقدر المطلوب[5]،ويمكن القول : إذا تقيَّد المُتكلِّم بقواعد التعاون الاربع حصل لديه تلويح نمطي معمَّم، ومن هذا النوع يتفرع نوع لا يتطلب سياقاً خاصًا محددًا لأجل التوصل إليه أسماه (غرايس) التَّلويح الحواري المُعمَّم ، أما إذا استغل المُتكلِّم قواعد المحاورة الاربع أو بعضها ولاسيما قاعدة العلاقة (المناسبة أو الصلة) ،واستخف بهنَّ بصورة علنية ومتعمَّدة، واعتمد تلويحه في سياق محدد وخاص ،ففي هذه الحالة سيكون هناك تلويح مخصص .

المَبحثُ الثاني :مفهومُالتَّلويحِ الحواري في التُراثِ العربي (اللغوي والبلاغي)

أولًا : التراثُ اللغوي:

إنَّ الحوار كان غالباً ما ينتهي إلى تقريب وجهات نظرالمتخصصين في موضوع واحد، أو الناس الذين يعيشون في مجتمع واحد متعددالثقافات والأديان والانتماءات، فبالحوار تذلل الفروقات، ويتوصَل إلى التفاهم، وعند الرجوع إلى كتب التراث، فكتاب سِيْبَوَيْه لم يستخدم مصطلح (الاستلزام) أو (التداوليات)، لكنها موجودة في تحليلاته من خلال الاعتماد على السَّياق لفهم المعنى في مواضع كثيرة من الكتاب، نجده يناقش التراكيب التي لا تُفهم إلا من خلال السِّياق، ويفسرها بناءً على ما يتوقعه المُتكلِّم ،أو المُتلقي، وهو ما يشبه مفهوم(التَّلويح الحواري)، وهذا ما نجده واضحًا وجليًا من حواره مع شيوخه الذين تحاور معهم في كثير من المسائل ،ومن هذه المسائل حواره مع شيخه الخليل"وزَعَم الخليل أنَّه بمنزلةِ قولك: شيءٌ أحسنَ عبدَاللهِ، ودخله معنى التعجب وهذا تمثيلٌ ولمْ يُتكلمْ به"[6]، فسؤال سِيْبَوَيْه هنا عن(ما) هل(ما) اسم استفهام ؟

[5]يُنظرُ: نظريةالتَّلويحالحواري : هشامعبداللهخليفة:29-34
[6]كتاب سيبويه:138/1

وإذا لمْ تكن استفهام، فهي اسم موصول، وإذا كانت اسم موصول أين خبرها؟ هذه أسئلة حوارية مفترضة دارت بين التلمْيذ وشيخه؛ لأنَّ سِيْبَوَيْه قارٌ في ذهنه أنَّ التعجب خبر، والمُتكلِّم لا يسأل المُتلَقِي عن الشيء الذي جعله حَسَنًا وإنَّما يخبره بأنَّ حَسُنَ، فضلًا عن أنَّ أسلوب التعجب وقوعه بزمن المِاضي المُتصل بالحاضر، فهذا الاستطراد يقودنا إلى أنَّ سِيْبَوَيْه يسأل عن الوجه الاعرابي لـ (ما) ؛لأنّه مقتنع بأنَّها ليست استفهامية ، إذن هي اسم موصول ،ويبحث عن إعرابها من غير صلة، لذا استنجد بشيخه الخليل، ولكن شيخه لمْ يسعفْهُ بما يريد لذا نعت قوله بـ (زَعَمَ)،وحوار سِيْبَوَيْه مع شيخه يدور في إعراب (ما) إنَّه أراد إقناع متلقيه أنَّ (ما) يمكن أنْ تأتي اسماً موصولاً من غير صلة، ولا حاجة للتقدير، وكأنَّه يريد القول هنا حدث تلويح حواري بتعبير (جرايس) ،فمعنى الجملة (الاخبار)، والمعنى التلويحي (التعجب)، وسِيْبَوَيْه غير مقتنع بأنَّ فعلَ التعجب تسري عليه أحكام الأفعال،وما كان يشغل سِيْبَوَيْه هو: كيف يكون ممكنًا أنْ يقولَالمُتكلِّم شيئا، ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكونُ ممكنًا أيضا أنْ يسمعَ المُتلَقِي شيئًا، ويفهم شيئًاآخر؟ لذا سِيْبَوَيْهغير مقتنع بتحليل شيخه الخليل بأنَّ (ما) هنا بمعنى شيء تخلصًا مِنْ (ما) الموصولة التي تحتاج إلى صلة؛ وهذاالتساؤل، والحيرة تشبه فكرة معنى المُتكلِّم التي قال بها جرايس، وأخرجت نظرية التَّلويح الحواري من عباءتِها ، وهذا الاستنتاج يؤكده المستشرق (كارتر) إذ يجعل سِيْبَوَيْهندًا لـ(جرايس) معللًا ذلك بأنَّ سِيْبَوَيْه مُهتمٌ بدور المُتلَقِي في المحادثة، وإنَّ تأثيراتَ المُتلَقِي مؤكدةٌ في اختبارات المُتكلِّم، وإنَّ منهج سِيْبَوَيْه التداولي هو نفسه دليل على أنَّه يضع المحادثة في مكانها الحقيقي كما في مبادئ جرايس[7]، وقد كان كارتر محقًا حينما قرر أنَّ مبادئ التداولية عند (جرايس) موجودة في تحليلات سِيْبَوَيْه،وإنَّهناك عشرات الامثلة في كتابه تؤيد قول (كارتر) منها استخدام الأمثلة الحية من الكلام العربي،حيث كان يورد (سِيْبَوَيْه) أمثلة من كلام العرب توضح كيفية الحذف، والتقديم، والتأخير، وأحياناً يشرحُ أنَّ الحذف لا يُفهم،ولكنسِّياق يدلُّ عليه، وهذا قريب من مفهومالتَّلويح الحواري،والدارسون المُعاصرون يرون أنَّ سِيْبَوَيْه كان يملك حسًا تداوليًا عاليًا، ويتعامل مع اللغة بوصفها ظاهرة تواصلية، لا مجردَ نظامٍ قواعدي، والعديد من التحليلات في كتاب(سِيْبَوَيْه) يمكن إعادة قراءتها في ضوء نظريةالتَّلويح الحواري.

[7]يُنظرُ :المستشرقونوالتراثالنحويالعربي : دعبدالمنعمالسيد:191- 192

ثانيًا:التَّلويحُ الحواري في التُراثِ البلاغي .

إنَّ الاصـــوليين المســـلمين كانوا مدركين تماماً لقواعد المحاورة، وبالذات قاعدة الاخبارية أو البيان (الكمية) ، وقد بحثوا التَّلويحات المعمَّمة التي تولِّدُها تحت باب (المفهوم والمنطوق)، وخصـــوصًـــا مفهوم المخالفة، وتحدثوا عن (مقام البيان) ،وهومنالمفاهيم القريبة من مفاهيم (جرايس)، ولاسـيما قاعدة الاخبارية الجزء الثاني منها (لاتجعلْ اسـهامكبالمعلومات أكثر مما هو مطلوب)مســـاوية لمقولة البلاغيين (خيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ)بل ذهب هشـــام الخليفة إلى أنْ جعل (مقام البيان) عند الاصـــوليين يقابل مبدأ التعاونعند (جرايس)ولانســـى أنَّ الاصـــوليين كانوا بالأســـاس لغويين وبلاغيين[8]،وبما أنَّ التَّلويح الحواري هو المعنى الذي يقصـــده المُتكلِّم ،ولم يذكرْه حرفيًا، لكن المُتلقي يفهمه من خلال السِّـــياق، والقرائن، وترتيب الكلام، والنَّبْرة، وهذا المفهوم، رغم أنَّه حديث من حيث التسمية، لكنَّ البلاغيين العرب كانوايمارسونهفي فنِّهم،ويدرسُونه ضمن علوم البيان والمعاني ، **وبرغم من** أنَّ الجاحظ (ت 255 هـ) لم يستعملْ مصطلح التَّلويح الحواري بهذا المصطلح، لكنَّه سبق علماء التداولية مثل (جرايس) بالفكرة نفسها من خلال كتبه، لاسِّيما كتاب (البيان والتبيين)، إذ نجد مُفهوم التَّلويح الحواري واضـحٌ عندهُكمفهوم ، وقد كان تركيزُ الجاحظ على المعنى المَخفِي من السِّـــياق، والحالة والنَّبْرة، ويؤكِّد دائمًا على أنَّ المُتكلِّم قد يخرق القواعد حتى يتمَّالمعنى التَّلويحي، ويرى أنَّ العربَ كانت تعتمد على الذكاء والسِّـــياق لفهم المعنى، بينما(جرايس) يعتمد على مبدأ التعاون،وقواعد المحاورة في فهم الرســائل غير المباشــرة، وقواعد المحاورة تستند في أساسها إلى طبيعة البشر في التفكير العقلاني ،ومن الامثلة التي تؤيد ما يقوله البحث ما نقله(الجاحظ:ت255ه) عن الإمام إبراهيم بن محمد قوله: "يكفي من حظ البلاغة أنْ لا يُؤتى المُتلقِي من سوء إفهَامِ النَّاطِق، ولا يُؤتى النَّاطِقُ من سوءِ فهْم المُتلقي،...أمَّا أنا فأستحسنُ هذا القول جدًا"[9]فالجاحظ يؤيد هذا النَّص الذي يرى لاينبغي مُحاسبة واتِّهام المُتلقي بعدم الفهم ؛لأن المُتكلِّم لم يُحسـنْ ايصـال المعلومات بصـورة جيدة، والعكس يحدث مع المُتلقي اذا كان غير مهيأ لاســتيعاب ما قاله المُتكلِّم، وهذا يتماهى مع مبدأ المناســبة (قاعدة العلاقة)التي طورها (ســبيربر وولســن) التي ترى أنَّ المُتلَقِي ينبغي عليه أن يبذل جهدًا في معالجة الكلام بفك شــفرة

[8]يُنظرُ: نظريةالتَّلويحالحواري : هشامعبدالله :47-48
[9]البيانوالتبيين: الجاحظ /90.

محتواه اللغوي ،واستحضارسياق وافتراضات سياقية معها ،وحساب تأثيراتها في ذلك السِّياق، وعلى المُتكلِّم صياغة جُملهٍ صياغة تسمح للمُتلقي بتفسيرها من غيرِ أنْ يبذلَ جهدًا كبيرًا :أي كلما تطلَّب تأويل الملفوظ جهدًا أكبر ، قلَّتْ مناسبة هذا الملفوظ ، وكلما زادت آثار الملفوظ زادت مناسبته،والنَّص الذي ينقله الجاحظ، ويستحسنه لا يختلف عن ما قالاه(سبيربر وولسن) مفهومًا ،وتطبيقًا[10]،وينقل الجاحظ عن أبي عقيل بن درست قوله: "نشاطُ القائلِ على قَدْرِ فهْمِالمُستمِع"[11]، أي أنَّ كلَّما كان المُتلقِي لديه معلومات مُسبقَة عن الموضوع المُتحدَّثِ عنه ،وتفاعل مع المُتكلِّم نشط المُتكلِّم فيما يقول، وأصبح الملفوظُ مُفهومًا من غيرِ جهدٍ كبيرٍ من المُتلَقِي، وكأنَّ الجاحظ يؤمن بأنَّ المتحاورين يفترضون عادةً أنَّ الكلام الذي يسمعونه ذات مناسبة ،وصادق وغني بالمعلومات الكافية ، والمُتلقون يتوصلون إلى هذا الاستدلال بناءً على الكفاية اللغوية التي لديهم.

وينقل (الجاحظ) نصًّا للمأمون يقول لاحدِ جُلاسِه:" واللهِ إنَّك لتستقفي حديثي، وتقفُ عند مقاطعِ كلامي، وتخبرُ عنه بما كنْتُ قد أغفلتُه"[12]،والمأمون بعقليته الاعتزالية الكبيرة يتنبَّه للفهم الذي يمتلكه أحد جُلاسه ليس من المعنى الحرفي المُعتاد في عصره، بل يجدُ عنده تلويح حواري يفهمه من السِّياق لا من معاني المفردات ،أو ليس تطويرا للصيغة المنطقية للقولة وإنما هو فكرة مستقلة يستدل عليها بمعونة السِّياق وهذا الفهم من المُتلقي الذي يتجاوز المعنى الطبيعي إلى المعنى غير الطبيعي هو الذي نبَّه(جرايس) إلى ابتكار نظرية التَّلويح الحواري وهذه الالتفاتة من الجاحظ لنَّص المأمون تكاد أنْ تكون مشابهة لما قاله (لفسن) في تعديله على قواعد (جرايس)أسمها(أ) قاعدة المُتكلِّم(قاعدة التقليل إلى الحد الادنى "قُلْ أقل ما يمكن":أي أقل ما يمكن من الدلائل أو الاشارات اللغوية الكافية لإنجاز مقاصدك التَّواصلية من غير غفلة قاعدة الاخبارية (ب) لازمة المُتلقي الطبيعية "قاعدة الاثراء أو الاغناء": أي وسعْ محتوى المعلومات المستفادة من قولة المُتكلِّم عن طريق إيجاد تأويل أكثر تفصيلا للحدِّ الذي تراه يمثل النقطة التي

[10]يُنظرُ: نظريةالتَّلويحالحواري : هشامعبدالله :106
[11]البيانوالتَّبين: الجاحظ:82/2.
[12]المصدرنفسه:82/2

قصـدها المُتكلِّم" :اي أنَّ الصـيغ اللغوية المُختصـرة، أو الموجزة تحصـل على تأويلات تفصـيلية كبيرة[13].

فهذه أمثلة من النَّصـوص التي جمعها الجاحظ تحت باب : (كلمات بليغة) ،إنَّ نصـوص الجاحظ هذه تدل على إدراكه لقواعد التعاون، ومُراعاة حالة المُتلَقِي ونفسـيته، وضـرورة مشاركتهفي إظهار النَّص،وتقليب تأويلاته وتوسيعها ، وهذه النَّصوص الثلاث في مضامينهاقواعد التعاونالتي قال بها (جرايس)،بل نجدُ في النَّص الثالث مشـابه لما اسـتعاض (هورن) عن قواعد جرايس بمبدأين شـاملين هما مبدأ الكمية ومبدأ الصـلة أولنقل قاعدة (الاخبارية) وقاعدة(العلاقة) فقاعدة الصلة (اجعل اسهامك ضروريا ولا تقل أكثر مما يجب) ، وهذا ما أراده المأمون ومبدأ الكمية (اجعلْ اسـهامَك بالقدرِ الكافي قلْ كلَّ ما تسـتطيع قوله) ،وهذا مايريده أحد جُلَّاس المأمون، وتمثل هاتان القاعدتان قوتين متضـادتين قاعدة الكمية تعمل على تكثيرالمعلومات التي يُفيدها المحتوى الحرفي، أما قاعدة العلاقة، فتعمل على تقليص المعلومات إلى الحد الأدنى، وهذا ما يريده المأمون، فقاعدة الكمية منحازة لصالح المُتلقي،وقاعدة العلاقة منحازة إلى المُتكلِّم، وهذا ما يريد قوله الجاحظ بعد أنْ اسـتعرض قول المأمون،وإنَّ تقديمَ المُتكلِّم المعلوماتِ للمُتلقي بخصـوص موضـوع معين قائمة على افتراض مفاده أنْ تكونَ هذه المعلومةُ أكثرَ أهميةٍ بالنسـبةِ للمُتلقي بحسب اعتقاد المُتكلِّم، ولا يمكن أنْ يحجبَ عنه أهم معلومة من المعلومات التي يقدَّمها.

المَبْحثُ الثالثُ : مفهومُ التَّلويحِ الحواري عند ابن الاثير(ت637هـ)

أولا: تأثر ابن الاثير بما ثبته الزمخشري في كشافه

إنَّ مفهومالتَّلويح الحواري في التراث العربييبدو واضحًا وجليًاوهذا ماتُوضَّحه النَّصوص الكثيرة ،والمتناثرة في بطون كتب البلاغة لاسيماماقاله ابن الاثير، وعمل عليه توضيحًا وتطبيقًا ،ولاننسى ما قاله الزمخشري في تفسيره الكشَّاف ،الذي حدَّ مصطلحالتَّلويح مستعملًا مصطلحًا عربي أصيل (التَّعريض) مُفرقًا تفريقًا دقيقًا بينه وبين الكناية إذ يقول الزمخشري: "الكنايةُ ذِكْرُ الشيءِ بغير لفظه الموضوع له ،والتَّعريض أنْ يذكرَ شيئا يدلُّ به على ذكرِ شيءٍ لم يذكرْه، كما يقول المُحتاج للمُحتاج إليه جئتك لأسلّم عليك،فكأنّ إمالة الكلام إلى عرض يدلّ على المقصود،

[13]يُنظرُ: نظريةالتَّلويحالحواري : هشامعبدالله :90 .

ويسمّى التَّلويح لأنّه تُلوَّحُ منه ما تريده"[14]، هذا النَّص النفيس إلا يعدُّ نظرية في التَّلويح الحواري،وزُبدة هذا النَّص هو أن الحقيقة والمجاز والكناية كلها من جنس الاثراء الدلالي للصيغة المنطقية الدلالية للكلام في حين أن التَّلويح الحواري مستقل عن المعنى الدلالي المُشفر في الكلام وهذا هو المعنى التداولي أو الفعلاتي بحسب مصطلح هشام عبد الله ،ويوضحالتَّهانوي الفرق بين الكناية والتَّعريض " وبالجملة فحاصل الفرق أنّه اعتبر في الكناية استعمال اللفظ في غير ما وضع له ،وفي التَّعريض استعماله فيما وضع له مع الإشارة إلى ما لم يوضع له من السِّياق"[15]،التهانويريدُ القول: أنَّ الكناية لها معنى قريبٌ ظاهرٌ ممكن يفهمٌ حرفيًا، وهو غيرُ المقصودِ ، ومعنى بعيدٌ مقصودٌ وهو المعنى المُرادُ ، ولاشكَّ أن هذا القول يضع الكناية في خانة الدلالة من خلال التركيز على المعنى الحرفي، أماالتَّلويح أو التَّعريض: يريد به معنى غير مذكور مباشرة في الكلام، لكن يُفهم من سياق الحديث أو الموقف، أي المُتكلِّم يقصدُ شيء، من غير ما يُصرّح بيه، ولكن المُتلقي يستطيع استنتاجه، وهذا التوضيح يضع التَّلويح في خانة التداولية .

ويذهب الزمخشري إلى تطبيق هذا التحديد للمصطلح (التَّلويح الحواري) في تفسير قوله تعالى:((**وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**)) البقرة: **41** "وهذا تعريضٌ بأنَّه كان يجب أنْ يكونوا أوّلَ مَنْ يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته؛ ولأنَّهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه والمستفتحين على الذين كفروا به، وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم، فلما بعث كان أمرهم على العكس"[16] والزمخشري يريد القول بأن هناك تعريضا (تلويحا) استلزاما حواريا بمصطلح (جرايس) ،والباحث لايريد لَي عنق النَّص، ولكن المصطلح والمفهوم واضحان ،ولاسيما التطبيق على النَّص القرآني، بأنّه كان عليهم أنْ يؤمنوا به قبل كلِّ واحدٍ، وهذا المعنى المُعرَّض به هو المقصود هاهنا من غير المعنى الطبيعي(المعنى العرفي)الذي تنطبق عليه شروط الصدق ، بل أراد المعني التداولي المتمثل بالتَّلويح الحواري ,وكأنَّ الزمخشري يريد القول أنِّ نسبة كبيرة من التواصل تحصل عن طريق الاستدلال، وليس التشفير، وفكُّ التَّشفير الذييعتمد على المواضعة التي تعني الاتفاق المُسبَق على المستوى الجماعي ، وعند تحليل النَّص الذي قاله الزمخشري وفقًا لمعطيات التداولية ولاسيما التَّلويح الحواري (الاستلزام التخاطبي) نجد الزمخشري يرى أنَّ اليهود من خلال سياق الآيات السابقة

[14]الكشَّاف: الزمخشري(ت: 538هـ):283/1.
[15]موسوعةكشافاصطلاحاتالفنونوالعلوم: التهانوي (تبعد 1158هـ) :1388/2
[16]الكشاف: الزمخشري(ت 538هـ):283/1

يؤمنون بالله الواحد الاحد،والعقل ،والمنطق، والعرف، والقيم الدنية تفرض عليهمأنْ يرحبوا بدعوة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فالآية ليس إخبارًا عن عدم إيمانهم بدعوة الرسول ،ولكن تعريض(تلويح)بهم، وهنا معنى تداولي خرج النهي من معناها الحقيقي إلى معنى تهكمي بفعلهم المنافي للعقل ،والمنطق، والعرف ،والزمخشري قارٌ في ذهنه ، إنَّ المُتكلِّمينبغي عليه أنْ لا يذكرَ الاشياءَ الواضحةَ والغنيةَ عن الذكر ،ما دامَ المُتلقي قادرًاعلى استعادتها واستحضارها بسهولة بناءً على كفايته اللغوية

ثانيا : مقارنة ابن الاثيربين الكناية و التَّعريض

إذا كان الزمخشري وضع الخطوط العريضة لنظرية التَّلويح الحواري (التَّعريض) بشكلٍ مُختصرٍ، فأن(ابن الاثير) في كتابه(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)أوضح هذا الامر بعد أنْ قارنَ بين الكناية والتَّلويح (التَّعريض)بقوله: "الكنايةُ ما دلّ على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما، ويكون في المفرد والمركّب، والتعريض هو اللفظ الدالّ على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي ،أو المجازي بل من جهة التَّلويح والإشارة، فيختصُ باللفظ المركّب، كقول من يتوقّع صلة: والله إني محتاجٌ، فإنّه تعريض بالطلب مع أنّه لم يوضع له حقيقة ولا مجازًا، وإنّما فهم من عرض اللفظ أي جانبه"[17]،في هذا النَّص النفيس يفرق (ابن الاثير)بين الكناية، والتَّلويح الحواري، ويضع المصطلح والمفهوم نفسه وكأنَّه لساني محترف أو أحد تلاميذ (جرايس)، فهو يضع الكناية في الدلاليات، والتَّلويح الحواري في التَّداوليات.

والسؤال الذي يطرحه البحث هنا، هل الكناية نوع من التَّلويح الحواري؟ هذا السؤال ذكره استاذنا الدكتور هشام عبد الله في كتابه نظرية التَّلويح الحواري ،وترك الإجابة عليه لغيره من الباحثين، وكان بودنا أنْ نرجعَ للتراث لنبحثَ عن الجواب ، وكان مقصدُنا ابن الاثير الذي فرق تفريقًا علميًا يكاد أنْ يتفوقَ به على الكرايسيين الجدد، يقول ابن الأثير في التفريق بين الكناية والتَّعريض (التَّلويح): "والتعريض أخفي من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التَّعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنَّما سُمِي التَّعريض

[17]المثلالسائرفيأدبالكاتبوالشاعر: ابنالأثير(ت 637ه):186/2.

تعريضًا لأنَّ المعنى فيه يُفهم من عرضه: أي من جانبه،وعرضُ كلِّ شيءٍ: جانبه"[18]وكلام ابن الأثير أيضا يدلّ على أنّ المعنى التَّلويحي لم يستعمل فيه اللفظ بل هو مدلول عليه سياقيا،وهذه لمحة تداولية أشار إليها ابن الأثير؛ لأن المعنى المُلَّوح به ،وإنْ كان مقصودًا أصليًا إلا أنَّه ليس مقصودًا من اللفظ حتى يكون مستعملًا فيه، وإنَّما قُصِدَ إليه من السِّياق تعريضًا،فدلالة التَّلويح دلالة سياقية مستقلة عن الصيغة المنطقية للجملة ،وهي ليست إغناء لتلك الصيغة في حين الدلالة الحقيقية، أو الدلالة المجازية ،أو الدلالة الكنائية إغناء للصيغة وتطويرًا لها،وهذا يعني أنَّ التَّلويح فكرة مستقلة يستدلُّ عليها بمعونة السِّياق[19]،ويضع وابن الأثير ثلاث فروق بين الكناية والتَّلويح الحواري:

1- التَّعريض(التَّلويح الحواري أخفي من الكناية

2- دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التَّعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي(أي الكناية دلالة منطوق مادلَّ عليه اللفظ في محل النطق مقام إيراد اللفظ بينما دلالة المفهوم ما دلَّ اللفظ لا في محل النطق حكم لم يذكر في الكلام ولم ينطق به).

3- الكناية تكون في المفرد والمركب أما التّلويح الحواري فيكون بالمركب .

هذه الفروق الثلاثة تكفي للرد على القول بأنَّ الكناية هي التَّلويح وإنَّ ابن الأثير كان مدركًا الفرق جيدًا ،ويستمر (ابن الاثير) في البحث في جذور معنى الكناية : "واعلم أنَّ الكناية مشتقة من السِّترِ، يقال: كنَّيْتُ الشيء؛ إذا سترته، وأجري هذا الحكم في الألفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة؛ فتكون دالة على الساتر وعلى المستور معا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ((**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**)) **النساء :43** فإنَّه إنْ حمل على الجماع كان كناية؛ لأنه ستر الجماع بلفظ اللمس الذي حقيقته مصافحة الجسد الجسد، وإنْ حمل على الملامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة، ولم يكن كناية، وكلاهما يتمّ به المعنى"[20]،يوضح التهانوي مايريده ابن الاثير "إنّ اللفظ المستعمل فيما وضع له فقط هو الحقيقة المجرّدة ويقابله المجاز لأنّه المستعمل في غير الموضوع له فقط، والكناية اللفظ المستعمل بالأصالة فيما لم

[18]المثلالسائر فيأدبالكاتبو الشاعر: 186/2.
[19]يُنظرُ: نظريةالتَّلويحالحواري : هشامعبدالله :132-133.
[20]المثلالسائر فيأدبالكاتبو الشاعر: 186/2.

يوضع له والموضوع له مراد تبعا، وفي التِّعريض هما مقصودان الموضوع له من نفس اللفظ حقيقة أو مجازا أو كناية والمعرّض به من السياق، فالتَّعريض يجامع كلا من الحقيقة والمجاز والكناية"[21]إنَّ قولَ التهانوي إنَّ التَّعريضَ(التّلويح) يجامع كلا من الحقيقية والمجاز والكناية يدرك مستويات الدلالة الحقيقية الثلاث ،ويمر بالدلالات المجازية،والكناية وصولا إلى التَّلويح(التَّعريض) الذي هو من معاني المُتكلِّم الذي يستدل عليها من السِّياق .

وقد سبق ابن الاثير تقي الدين السبكي(ت756ه) إذ ألفَّ كتابًا أسماه **(الإغريض في الحقيقة والمجازوالكناية والتعريض)** ، وقدقسَّم الدلالة بحسب قصد المُتكلِّم،وليس بحسب قصد الواضع إلى صريح، وكناية، وتلويحمُوضِحًاالفرق بين هذه الدلالات الثلاث بقوله:"إذا كان يقصد المعنى الذي يدلُّ عليه جوهر اللفظ بحسب وضعه يكون المعنى صريحًا ، وإذا كان يقصد غير مايدلُّ عليه جوهر اللفظ ، فإنْ كان مع معنى جوهر اللفظ لازما للمعنى الوضعي، فهو كناية كقولك كثيرُ الرماد فدلالته على كثرة الرماد باقية صريحة ولزم منها الدلالة على الكرم وليس مقصود للواضع من ذلك الكلام، ولكن مقصود المُتكلِّم:أي أنَّ اللفظَ كثيرُ الرماد دال على الكرم بمجرد التلفظ به من غير الاعتماد على أمر آخر خارج اللفظ لوجود التلازم الذهني بين اللفظ والكرم وإنْ كان لم يكن لازما لجوهر اللفظ فهو التَّعريض، فالتَّعريض دون الكناية ؛لكونه ليس لازما ؛ ولكونه متوقفا على قرينة ، و يرى تقي الدين السبكيأنَّ الحقيقة تكون أقوى وأظهر في التَّعريض[22]:أي أنّ التَّعريض(التّلويح) يعتمد السِّياق والظروف الحافة في استخلاص المعنى المراد ،وهذه توفرها في التَّلويح أعلى وأفضل ،وهذه المعاني تداولية وخارج مفهوم الدلالة التي لم تقدم المعنى الذي يريده السبكي.

ومن الامثلة التطبيقية التي عرضها ابن الأثير قوله تعالى: **((قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)) الأنبياء:** 63 "والقول فيه أنَّ قصدَ إبراهيم عليه السلام لم يردْ به نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه، وإثباته على أسلوب تَّعريض يبلغ فيه غرضه من إلزام الحجة عليهم، والاستهزاء بهم "[23]وهذا النَّص النفيس يعدُّ من أمثلة التّلويح المخصَّص باستغلاله قاعدة الصدق(النوعية) فلاستهزاء أو التهكم ، والتهكم واحد من خصائص

[21]موسوعةكشافاصطلاحاتالفنونوالعلوم: 1388/2
[22]يُنظر: الإغريضفيالحقيقةوالمجازوالكنايةوالتعريض: تقيالدينالسبكي : 1541-1544 .
[2]المثلالسائرفيأدبالكاتبوالشاعر: "ابنالأثيرت 637هـ":186/2.

[23]المثلالسائرفيأدبالكاتبوالشاعر:186/2.

التَّلويح الحواري المخصَّص الناتج عن استغلال قاعة الصدق، فبالرغم من أنَّ مصطلح التَّلويح الحواري ظهر حديثًا عند علماء التداوليات مثل(غرايس) إلا أنَّ كثيرًا من علماء البلاغة العرب كانوا يتعاملون معه بوعي عميق، وبمصلحات تراثية تحمل مفهومالتَّلويح الحواري , ويرتبط ابن الاثير التَّلويح الحواري بالسِّياق، والتمكّن من المعلومات السابقة التي تشكِّل المعارف المشتركة بين المتحاورين وصولا إلى المعنى التَّلويحي، وهو رسالة مضمرة ذات معنى أعمق من المعلومةالحرفية المباشرة للخطاب بحسب خصائص السِّياق، ومقام الكلام، والمعرفة المشتركة

ويقف ابن الاثير عند قوله تعالى : **((فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا .....))** هود: 27 ، معلقًا على النَّص القرآني الكريم"تعريض بأنهم أحقّ بالنبوة منه، وأنَّ الله لو أراد أنْ يجعلها في أحدٍ من البشر لجعلها فيهم"[24]،يتعمد المُتكلِّم وبصورة علنية أنَّه لا يطيعُقواعد التعاون بقصد توليد تلويح حواري (تعريض) ، فهويريد من المُتلَقِي أنْ يدرك أن هذا الاستخفاف متعمَّد، فانتهاك مبادئ التعاون هو الذييولد التعريض مع الإخلاص لمبدأ التعاون: أي أنْ يكون المُتكلِّم حريصاً على إبلاغ المُتلَقِي معنى بعينه، وأنْ يبذلَ المُتلَقِيالجهد للوصول إلى المعنى الذي يريد المُتكلِّم،فإذا انتهك المُتكلِّم مبدأ من مبادئ الحوار يسعى المُتلقي للوصول إلى هدف المُتكلِّم ،وهذا ما راده ابن الاثير في تحليله للنَّص القرآني باحثا عن المعنى المقصود، ويقول العلوي في الطراز "والتعريض في القرآن وارد كثيرًا بأحوال الكفرة في التهكم والنقص وإسقاط المنزلة وحط القدر، ومواضعها دقيقة تستخرج بالفكر الصافي، والرسوخ في قدم البلاغة"[25]أي أنَّ التعريضَ هو نوع من المعاني الضمنية التي لا تُقال بشكل صريح، لكن تُفهم من سياق الكلام أو من طبيعة الموقف.

ويشير ابن الاثير في مكان آخر إلى التَّلويح الحواري من خلال نصوص نثرية يختارها بعناية إذ ينقل " كان مروان بن الحكم واليًا على المدينة من قبل معاوية فعزله؛ فلما قدم عليه قال له: عزلتك لثلاثٍ لو لم تكنْ إلا واحدة منهنَّ لأوجبت عزلك: .....والثالثة أنْ ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمر بن عثمان فلم تعدها؛ فقال له مروان: .....، وأما استعداء رملة على عمر بن عثمان فو الله إنه لتأتي علي سنة وأكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا، يريد بذلك أنَّ رملة بنت معاوية إنما استعدت لطلب الجماع، ..... وهذا من التعريضات اللطيفة "[26]يتبين من خلال هذا

[24]المصدر نفسه:200/2
[25]الطراز لأسرار البلاغةوعلومحقائقالإعجاز: يحيىبنحمزةالعلويّ (ت: 745هـ):196/1.
[26]المثلالسائرفيأدبالكاتبوالشاعر: 200/2

النص أنّ ابن الاثير قد ادرك الصفة الاستدلالية السَّياقية التداولية للتواصل ،وهذا سبق يسجل له وللبلاغيين الذين سبقوه والذين عاصروه إذ أنَّ المدخل الاستدلالي للمعنى والتواصل قد اقترن حديثا بمؤسسه (جرايس)،ولو وضعنا تحليل ابن الاثير على النحو الذي قال به (جرايس):"أنَّ ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمر بن عثمان فلم تعدها"وأما استعداء رملة على عمر بن عثمان فو الله إنه لتأتي علي سنة وأكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا" الجواب لا علاقة له بالسؤال ولكن هنا تلويح حواري استكشفه ابن الاثير ، ووضع له المصطلح الحديث، وكأنه من تلاميذ(جرايس) بل كما يقول هشام خليفة كأن (جرايس) تلميذ تخرج من جامعة التراث العربي، والذي يثير الاعجاب بهذا التراث أنَّ المتحاوريْن كانا على دراية وعلم بهذا المعنى غير الطبيعي أو غير العرفي الذي كان هو السائد.

وينقل ابن الأثير نصًّا من العقد الفريد يرى فيه تعريضا لطيفا "ووقفت في كتاب العقد على حكايةتعريضية حسنة الموقع، وهي أن امرأة وقفت على قيس بن عبادة؛ فقالت، أشكو إليك قلة الفأر في بيتي؛ فقال: ما أحسن ما ورّت عن حاجتها، املأوا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما"[27] وعند تحليل النصّ أعلاه كما فعلنا في النصِّ السابق لكان جوابا شافيا لمن ينكر أن التراث غير زاخرٍ بالنظريات الحديثة التي قال بها الغرب ،بل أن التراث كان سبَّقا لها

1- "أشكو إليك قلة الفأر في بيتي"

2- "املأوا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما"

نجد الجواب لا علاقة له بالسؤال، ولكن عند النظر له من جانب نظرية التَّلويح الحواري نجد أنّ هناك استخفاف بقواعد التعاون، وأن المُتلقي عرف المقصود المُتكلم ،وأجاب لما يريد،ويضيف ابن الاثير إلى مواضع التعريض التي أعجب فيها وطرزها في كتابه"ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون في أمر بعض أصحابه، وهو: أما بعد؛ فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتطوّل في إلحاقه بنظرائه من الخاصة، فأعلمته أنَّ أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين، وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته، فوقّع المأمون في ظهر كتابه: قد عرفت تصريحك وتعريضك لنفسك، وقد أجبناك إليهما"[28]، هذه النصوص التي ذكرت تحوي وتؤكد ادراك البلاغيين،

[27]المصدر نفسه:200/2
[28]المصدر نفسه:201/2

ولاسيما ابن الاثير بمفهومالتَّلويح الحواري الذي وضعوا له مصطلحا مستقلا التَّعريض أو التَّلويح يدل دلالة قاطعة على علو كعب التراث في مناقشة وإثارة هذه الافكار التي جاء بها (جرايس) وطورها من بعد الجرايسيينالذين اعتمدوا على مبدأ الصلة ، وربما كان العلوي أفضل من وصف التَّلويح الحواري على الاطلاق كما يقول الدكتور هشام عبد الله خليفة إذ يقول العلوي في الطراز : " هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به"[29]أي ليس باللفظ ودلالته سواء كانت حقيقية أو مجازية بل بالظروف الحافة باللفظ ،وهو من معاني المُتكلِّم التي يستدل عليها من السِّياق ،فالعلوي يريد القول بأن التَّلويح الحواريمعنى تداولي يفهم من السِّياق، وهذا ما قاله (جرايس).

الخلاصة

1- توصل البحث إلى أن ما ورد عند العلماء العرب القدامى فيما يخص مفهوم

قصد المُتكلِّم لا يقل أهمية من الناحية المعرفية عما أثبته المحدثون، غير أن قراءة النصوص التراثية تبقى محكومة بالسِّياق المعرفي والتاريخي الذي وردت فيه، وذلك من أجل المحافظة على أصالتها وعدم وضعها في خانة واحدة مع المفاهيم الفلسفية والتداولية الحديثة.

2- التراث البلاغي العربي زاخر بأمثلة وتجليات لمفهومالتِّلويح الحواري، حتى وإن لم يسموه بهذا الاسم، والشواهد عديدة ومتنوعة بل أنَّ الزمخشري وابن الاثير كانا مطبقين له .

3- إنَّ مفهومِالتَّلويح الذي وضعه الزمخشري من أهم المفاهيم التي تحدث عنها البلاغيون ولاسيما ابن الاثير الذي فرق تفريقا دقيقا بين التَّلويح والكناية ،الذي يرى التَّلويح ظاهرة متغيرة ،ومرتبطة بلحظة الكلام وسياق الخطاب وأساسها المعنى التَّلويحي الضمني الذي يدركه المُتلَقِي من خلال السِّياق والظروف الحافة .

[29]الطراز لأسرار البلاغةوعلومحقائقالإعجاز: يحيىبنحمزةالعلويّ (ت : 745هـ):196/1.

4- إن مبدأ التِّلويح الحواري مبدأ راسـخ في التراث اللســاني العربي، ففي بعض نصــوص الفكر اللغوي العربي القديم توجد أفكار مشــابهة لما أورده (جرايس) حول قضية التَّلويح الحواري و غيرها من القضايا التداولية.

5- إنَّ ابنَ الاثير كان رائدًا في تنضيج نظرية التَّلويح الحواري، وهو يرى أنَّ المتحاورين كانوا على دراية ،وعلم بالمعنى غير الطبيعي أو غير العرفي رغم أنَّ المعنى الحرفي أو الطبيعي هو السائدوكأنَّه من تلاميذ(جرايس) بل كما يقول هشام خليفة كأنَّ (جرايس) تلميذ تخرج من جامعة التراث العربي، وتحت اشراف ابن الاثير .

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

- **الإغريض في الحقيقة والمجازوالكناية والتعريض: لأبي حسن تقي الدين السبكي : تحقيق ودراسة د: علي بين دخيل الله العوفي .**
- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود أحمد نحلة ،دارالمعرفة الجامعية ،مصر،2002م.**
- **البيان والتبيين: الجاحظ (المتوفى: 255هـ) دارومكتبة الهلال، بيروت ، 1423 هـ:**
- **حساب المعنى بين التداوليين وعلماء أصول اللغة : قندورالهوار/ مجلةأبحات العدد الثاني :**
- **الطرازلأسرارالبلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ (المتوفى: 745هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت،ط1، 1423 هـ**
- **الطرازلأسرارالبلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ ا (المتوفى: 745هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت،ط1، 1423 هـ**

✓ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري جارالله (المتوفى: 538هـ)، دارالكتاب العربي – بيروت،ط3: 1407 هـ.

✓ المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثيرالكاتب (المتوفى: 637هـ)،المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد،: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت .1420 هـ.

✓ المستشرقون والتراث النحوي العربي : د عبد المنعم السيد أحمد جدامي ،دار كنوز: ط1، 1437هـ، -2016م:

✓ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،ط1، 1996م.

✓ نظرية التلويح الحواري : الدكتور: هشام عبد الله خليفة : مكتبة لبنان ناشرون،ط2013/1م.